المستضاء الرأي في بهم الدجى		والمستضاء الرأي في الإلباس
تجري الأمور على السداد إذا جرت		أقلامه في ساحة القرطاس
أقلام ميمون النقيبة حازم		يجرين بالإنعام والإيناس
ما انفك يُعهدها ويمجّها		عسلاً مدادها من الأنفاس
يا سائلي عنه سألت عن امرئ		تلقاه وهو من الفضائل كاسي
تلقى مُغيثاً مشمساً في حالة		هطل الغمامة نيّر الإشماس
فلذا تنزّل من كفه ولنا هدى		من رأيه في الليل ذي الأغباس
ما ضرّ مهتدياً به في حندس		عدم الهداة وغيبة الأقباس
ماء بلا رنق إذا ما استعرضت		أخلاقه نار بغير نحاس
جمع السلامة والشهامة أنه		شخص يحوز محاسن الأجناس
إذكاؤه لهب الحريق وحلمه		أندى وأبرد من ندى الأغلاس
وترى شهيداً ظاهراً من جوده		بمعيب من جوده هجّاس
ندقلت حتى رأيت باطن كفه		أندى من المتقلّب الرجّاس
ورأيت حمرة ذهنه ولهيبها		في ساعة التبليد والإبلاس
عجباً لأقلام الوزير وكيف لا		تستبدل الإيراق بالإيباس
بل كيف لا تأجج في الأنامل		نيران هاجسة بغير مساس
كفقن أن يورقن من ذاك الندى		أو يحترقن بذلك المقباس
قدّمه أن ذكر المكارم ذاكر		محظوظه منهن غير خساس
قصد المحامد حين أكسد تجرها		فابتاع كاسدها بغير مكاس

ورأى

ورأى العلى مهجورة فأوى لها		وحنى عليها والقلوب قواسي
وأما وإسماعيل حلفة صادق		راعي الرعاة وسايس السوّاس
لولا شجاعته لهاب طريقه		خشناء مقفرة من الأناس
ولمثله ركب المهيبة وحده		وتحمّل العظمى بغير مواسي
فيه اثنتان يقلّ من يحويهما		في دهرنا ويجلّ في المقياس
ينسى صنيعته ويذكر وعده		أكرم بذلك من ذكور ناسي
أضحت به الدنيا رياضاً كلها		والدهر كالأعياد والأعراس
وكأنما آباؤه وجدوده		نشروا به طرّاً من الأرماس
برجائه اكتست الركاب رحالها		وبجوده عريت من الأحلاس
صرف السماع نوى المقلد نحوه		وحدا القياس إليه بالقياس
فكلاهما صدقته عنه شهوده		واستبدل الإدراك بالإحساس
عند امرئ حرس الأنام بحزمه		وكأن ثروته بلا أحراس
يا أيها الغيث الذي بغيائه		أضحت عواري الأرض وهي كواسي
أنا من سؤالك بين ميسور الغنى		لا شك فيه وبين ملك الياس
ستنيلني الآمال أو ستردني		ملكاً يواسي من جميع الناس
من ذا تخيّبه فتطمع نفسه		في رفد غيرك آخر الأحراس
أم من تهشّ له فيرجف قلبه		خوف المفاقر غير ذي وسواس
أغنيت من أعطيته وحرمته		من مطمع أبداً ومن إفلاس
من تعطه يسعد ومن لا تعطه		يسعد بصونك عن الأدناس